

بنك رويستون

كانت الغلبة للقوة البدنية وكان الناس يفاخرون بقتل خصومهم وسلب اموالهم فصارت للقوة المالية وصاروا يستحلون كل طرق النش والخداع لكسب المال . وفي الفترة بين الحالين سنت الشرائع والقوانين غرمت القتل والسلب والنش والخداع ولكن سلطتها لاتتعدى الظواهر فما كشف امره وقامت الادلة على ثبوته طبقت القوانين عليه وما بقي مستورا ولم تثبت الشواهد والقوانين في صاحبه بريئا ولو كان من شر الموقفات حتى ان القاضي لا يحكم على القاتل والسارق ولوراها يقتلان ويسرقان سراى العين . الم يقم غيره الادلة على اذاتهما . وانكى من ذلك ان يكرم اللص ويدخل بيتك فتوجب به كانه من جلة القوم ويدان خادمة وتجن اذا سرق حفنة من الشعير من عقيق فرس . وتنهال الرتب والنياشين على الذين يزيفون النقود والاموال ويؤخذ من يشتم بكلمة ويقضى عليه بالعقاب . حالة يراها الناس بعيونهم ويفضون الطرف عنها كما انها من مألوف العادات

وقننا على قصة موضوعة تبين هذه الاحوال على اسلوب جلي في شكل رواية فكاهية لكتاب اسمه جوليان هوثورن فرأينا ان نترجمها ببعض الايجاز قال
كان رجل اسمه جس النهام وهو كهل في الستين من عمره شديد العصب سريع الخاطر ينظر في الامور بعين البصيرة فيدرك غواها وضها ويقابلها بعين المزدري فلا تظهر على وجهه امارات الاهتمام بها

تلقى العلوم في احدى المدارس الجامعة وقرأ كثيرا من الكتب العلمية والادبية ووقف على آراء رجال العصر ولم يتابع غيره بل بقي مستقلا في رأيه وهو مع ذلك لين العريكة حسن المعاشرة يتقن ملاسمة ولا يظهر عليه التأنق فيها . ورث مالا طائلا عن ابيه واشتغل بالصرافة وانشأ بنكاً منذ خمس وعشرين سنة فزادت ثروته . وتوفيت زوجته وهو شاب فتزوج باخرى وعمره اربعون سنة وولدت زوجة الثانية له ابنة صار عمرها الان ثمانى عشرة سنة وزوجته من اهل التقى والصلاح وهي دونه ذكاه

وكان اهل مدينته يحلمون قدره ويحسبون الاول بينهم وعرضوا عليه بعض المناصب فرفضها وكان بنكه الاول بين بنوك المدينة وجلة اهلها يردعون اموالهم فيه وابنته واسمها اولميا على جمال فائق وبساطة شديدة وتجه محبة تقرب من العبادة وتعرف بها طيب شاب اسمه بنتك تغفلها الى ابيها فيليل الحوادث الآتي ذكرها وكان ذلك في شهر

يونيو واتفقا على ان يكون افتراضهما في أكتوبر

وكان النهام ذات يوم في غرفته الخاصة بعد انصراف العمال لان العراف واسمه كلثري طلب ان يكلمه على الفراد - وكلثري هذا كهل في الاربعين من عمره دخل البنك في حدائثه كاتباً وبعد خمس عشرة سنة صار صرافاً وهو ذكي امين جداً يجري في اموره واعماله على غاية الانتظام والتدقيق لكنه كثير التأني يسير السلخانة بينما النهام يشب وثب الايل وكان النهام بقدره قدره ولا يبخسه حقاً ويمرح معه احياناً ويتم عليهم لكن كلثري لا يتعدى منزلته ولا يكلمه الا بالوقار والاحترام

وكان النهام يعلم ان كلثري يحب ابنته اوليا ولكنه ينظر اليها نظر العابد الى المعبود غير طامع بالاقتران بها وكانت هي تنظر اليه بعين الدعة واللطف ولم يحظر بيالها قط ان حباها كان ممتلكاً فوادته فلما بلغه ان بنتك خطبها لم يقل شيئاً بل زادت سكينته وزاد انصافه على عمله وقد رأى حديثاً ان الاموال قلت في البنك رويداً رويداً ولم يبق فيه الا مبلغ زهيد لا يفي بجزء مما يطلب منه فاذا طلب الوادعون اموالهم اضطروا ان يشهر افلامه حالاً فاخبر المدير بذلك وطلب اوامره في هذا الشأن وهذا هو الغرض الذي طلب ان يقابله فيه فالتفت المدير اليه باسمها وقال له اظنك تعلقاً من جراء ذلك فان خفت من الفرق معنا فما عليك الا ان تسبح الى الشاطئ وتجر بنفسك ولا يعصب عليك ان تجهد لك عملاً في بنك آخر

فقال كلثري نفرق كلنا او نفيجوا كلنا بل افضل ان اغرق وحدي او افعل اي امر آخر اذا امكنتي ان اتبعك او اتبع من لك

تنظر المدير اليه وقال له باسمها هب انك تشرع من الآن تزور الدفاتر قبل ان يطالع عليها ما امور الحكومة . فقال كلثري وهو يحسب ان المدير يتهم عليه اني لا انتظر ان تثق بي اكثر مما استحق وعلى كل حال فالبنك ببنك وانت المسؤول عنه ولم اقصد في ما ابنته لك الا اطلاعك على حقيقة الحال لكي ترشدني الى امر افعله مخافة ان تؤخذ على غرة

فقال المدير احسنت ولملك خفت ايضاً على اوليا لعل خطيبها يتركها وتضطر الى السؤال

فاخمر وجه كلثري وتنهده ولم يقل شيئاً

فقال المدير الا تزور الدفاتر اكراماً لاوليا فان الضرورات تبيح المحذورات ولكنني اظن

ذمتك تمنعك من ذلك

فانفض كلثري رأسه وبقى حامئاً

قال المدير يظهر لي أنك لا تحب المزاج فهل لك شيء آخر لقوله لي
فقال كلفري كلاً ولكن اتضح لي أنك لا توجس شراً فاطمان بالي
فقال المدير لقد قلت لي انه لم يبق في خزائن البنك سوى مئة وخمسة وستين الفاً من
الريالات وبني يساوي ضعفي ذلك واثانته يساوي مئة الف والاملاك والديون التي لنا تساوي
مليون ريال وطينا من الديون مليونان على الاقل فطينا أكثر مما لنا. واذا اظهر ذلك مراجع
الحسابات تداولته السنة الجرائد وصرنا مضغة في افواه الناس يقولون فلان خرج صفر الديدن
بعد ما اشتغل خمساً وعشرين سنة واضاع امواله واموال الناس . لي سؤال التيه عليك
يا كلفري واطلب منك الجواب عنه قل لي اي من يصل اليه المراد حتى يصير بآمن من ان
يرتكب التزوير ويُعدّ مع الجناة

وكان كلفري قد سار نحو الباب لانه رأى المدير غير مهم بالامر ولا اجابة الأ بالمزاج
والتهكم فلما سمعه يقول هذا القول بلهجة الجذ وقف حائراً في امره ولم يعد يخرج
فقال له المدير تعال نل لي هل كبرت عن السرقة والاختلاس بعد ان عشت هذا العمر
كله سالكاً سبل الامانة

نظر اليه كلفري مدهشاً وقال له بصوت منقطع " السرقة والاختلاس " صار لي معك
عشرون سنة وانا ارى فيك مثال الصدق والامانة فلا استطيع ان اتصور انك تُقدم على شيء
مثل هذا لا تؤاخذني انك تترج معي ولتبهكم علي
فرفع المدير رأسه وانحنى في كرسيه الى الوراء وضحك وقال احسنت اذهب الآن الى
بيتك وتمّ معظمن البال فان احوال البنك على ما يرام ولا خوف علينا . اذهب بسلام
فودعه كلفري وهو يطلب المذرة منه ويقول في نفسه ما اوسع حيلة هذا الرجل وما
اقدره على ادارة الاعمال

بني المدير في مكانه هنيهة يفكر في امره ثم تنفس الصعداء وقام ومضى الى بيته وهو
طلق المنياً كأنه لا يهمه شيء

وجلست عائلته للشاء هو وزوجته وابنته وخطيبها . وكان هذا الخطيب بني الطلعة
بشوش الوجه نجيف الجسم شديد الفضل وكان يارعاً في صناعتيه متضلعاً من العلوم المتعلقة بها
تظنه من اول وهلة بعيداً عن الناس لا يميل الى معاشرتهم لكنك اذا خبرته ووثق بك رأيتك
على جانب كبير من اللدعة والانس ثم ترى تحت ما في وجهه من البشاشة وفي اعطافه من

الذين اعصاباً كالنولاذ وعضلات كالحديد تريك انه جبار عند الشدة مصداقاً لقول من قال
ان الرجال صناديق مقلّة وما مفايحها الا التجاريب

وجرى الحديث في شوئونه وهم على المائدة فقالت مسز النيام قرأت الآن عن حادثة أخرى من
هذه الحوادث المشرمة - صراف سرق مالا طائلاً من البنك وهرب به ويقال انه كان معدوداً
من اهل التدئين الذين يكثرون التردد على الكنيسة . لا بد من ان ينتقم الله منا لاجل هذه
الشور لان خوفه زال من قلوب الناس . فالتفت زوجها الى الدكتور بنتك خطيب ابنته
وقال له ما قولك في ذلك هل زاد الصلاح في الدنيا او زاد الشر فيها

فقال بنتك اني ارى الرياء شرالمام فهذا الرجل كان مرانياً وقد تعب من حسنين الناس
له ديتاً وهو لص ففضل ان يجاهر بامره . والمجتمع الانساني تعزبه الآفات مثل جسم
الانسان والآفة الظاهرة اقل ضرراً من الباطنة لان الاولى شناؤها مأمول واما الثانية فلا
يرجى لها شفاء

فتضحك النيام وقال هذا ضرب من ضرب الحكمة مفاده ان من كان شر الناس
حسب الظاهر فهو افضل الناس . أحنت أحنت

فالتفت اوليا الى خطيبها وقالت له لا تصدق ما يقوله ابي لانه ليس اكره للخداع منه .
فلم يجيبها بل قال ان الغنى امر جديد في الدنيا لم يدرك الناس كنهه حتى الآن فيظنونه كل
مطلب ويضمون كل شيء في سبيله وقد قسم الناس الى فريقين الى شردمة من الجبايرة وهم
الاغنياء بين جيوش كبيرة من الاقزام وهم المتوسطون والفقراء وكل جديد بهجة فتني الف
الناس الغني لا يعود احد يهتم بان يكون جباراً فتزول التجارب التي تجرب الناس آلات
لاكتساب الغني والشور التي يرتكبوها في سبيله . والانسان ابن الاختبار فتني اختبر الغني
وعلم متاعبه عانته نسه كما تعاف الماكل اذا شبعت منها

فقال النيام ان الانسان مطبوع على الشر وهو ظالم بالطبع ويطلب دائماً ان يكون فوق
غيره وما دام الناس يحسبون التفوق لاهل الغني فلا بد من سالب وسلوب وظالم ومظلوم
لان الناس لا يستطيعون ان يفتنوا كلهم ولا يغتني رجل الا اذا افتقر رجال . وما دنا
نكرم الغني ونجل قدره وكل امره يود ان يكرم ويجل فكل امره يحاول ان يغتني مهما كلفه
ذلك وسواء كانت الطرق الموصلة الى الغني محملة او محرمة . اما من حيث الرياء فاكثر الذين
يرادون براؤون لاجل نسايتهم واولادهم فان الرجل يرى زوجته واولاده يعقدون في الفضل
والكمال فلا يجاسر على تزغ هذا الاعتقاد منهم

فقلت له اولمبيا ألا يجب اذا عقاب المجرمين
فقال نعم اذا امكن اثبات الجريمة عليهم وحينئذ يكون عقابهم لا الجزيتهم بل لانهم لم
يكونوا ماهرين في اخفائهم فاذا اخفوها حتى لا تظهر او لا تثبت عليهم لم يعاقبوا . فالضعيف او
الجاهل الذي لا يستطيع ان يخفي ذنبه هو الذي يعاقب عليها ونحن كالذئاب كلما سقط منا
واحد اكلناه

ف نظرت زوجه اليه نظر الغيظ وقالت له لا يحسن بك ان تترج هكذا امام ابنتك وصبرك
فانهما لا يزالان صغيرين قليلي الاخبار فتشوش اذكارها
وقامت اولمبيا وقبّلت وجهه وطوقت عنقه بذراعها وقالت ان ابي لا يشوش افكاري وهو
احسن الناس كلمهم

فالتفت النهام الى صهره وقال له انظر كيف يضطر الانبان الى الرياء
ودخل الخادم حينئذ وقال اتى رجل يقول انه حضر بطلب منك وقد عينت له هذه
الساعة لتقابلها فيها فهل ادخله الى غرفة الاستقبال
وكانوا قد اكلوا وشبعوا وجلسوا ينتقلون فوقف النهام ومع شفتيه بتنديله وقال للخادم
ادخله الى مكشيتي وقل له اني سأحضر حالاً

فقلت اولمبيا على الذين لم شغل معك ان يقابلوك في البنك لا في البيت اما في البيت
فانت لنا لا للشغل ولذلك سندخل المكتبة ونشغلك عن الكلام
فقال ابوها ان امر هذا الرجل خصومي ولا يحسن ان يرمى في البنك وهو من كبار
المالين فاذا خفنا من الافلاس فهو الرجل الذي يساعدنا ولكن اذا علم اني اجتمعت به وتامرنا
على امرهم الناس علينا غداً يطلبون اموالهم المودعة عندنا فلا اعود قادراً على تجهيزك
فقلت ان قلبي يوجس شراً من هذا الرجل فاطرده من هنا اودعني ادخل المكتبة
واسمع ما يقول

قالت ذلك وهي ممسكة يده فنظر اليها وكأنه تردّد في امره ثم تزع يده من يدها وقال
قضي الامر ولا بد لي من ان اوقع اسمي في دفتره اذ هي العبي مع خطيبك وسأعود اليكم سريعاً
قال ذلك وصار مسرعاً فقطع الدار ثم التفت الى ورائه فرأى بتتك خطيب ابنته سائراً
مع زوجته وابنته سائرة الى جانب خطيبها وهي تقبل يدها وتشير اليها كأنها تقبله عن
بعد وقالت خطيبها لا بد من ان يكون هذا الرجل آتياً يشغلي من ابلان كثيرين يقصدونه
لهذه الغاية وهو بصدق أكثر من كل احد ولا مثيل له غيرك يا حبيبي

وكان الرجل الذي أتى زائراً وافقاً في غرفة المكتبة يرى ولا يرى لأنها كانت مظلمة لا نور فيها فرأى ذلك الشاب بين خطيبته وأما فسرته ذلك المنظر وانطيمت صورته في ذهنه ووصل إليه النهام حينئذٍ ودخل واغلق الباب وفتح النور الكهربائي فاضاءت المكتبة بنور ساطع

•••

ان الذين يفلحون في هذه الحياة يظنون ان الفلاح جاءهم بفتنة والذين يفشلون يظنون ان الفشل جاءهم عفواً والحال ان للنجاح والفشل درجات يتدرجان فيها لكن الانسان لا يتذكر الدرجة الاخرية منها. والحالة التي وصل اليها الآن لم تفاجئه مفاجأة بل قد تدرج اليها تدرجاً لكن طرق الشر لا تكون جلية في مبادئها فلا يوجس الانسان منها شراً ولا يرى اعوجاجها وابتعادها عن طرق الاستقامة الا متي اوغل فيها وتعدّر عليه الرجوع عنها. والآن لم يكد النور الكهربائي يبرر تلك الغرفة حتى اطلق النور الداخلي من قلب النهام فاطلم ظلمة دامة وقف النهام والرجل الذي جاء لزيارته. وقفنا متواجبين وكل منهما ينظر الى الآخر ويتفرس في وجهه. وكانت غرفة المكتبة ادل على اخلاق صاحبيها من كل ما في بيته لانه يرتبها على ذوقه. كانت فسيحة مملوءة بجزائن الكتب على جدرانها الاربعة والجزائن بديعة الصنعة وفوقها صور كثيرة مختلفة الاشكال منها ما يمثل الجمال ومنها ما يمثل الحب ومنها ما يمثل العظمة وفي جانب من الغرفة مائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات وفي جانب آخر موقد على رفه آنية مختلفة من الزجاج البندقي وبين الكتب تماثيل غريبة منها تمثال ياباني يمثل رجلاً يتنقر بقر بطنه على ما كانت الجنود اليابانية تفعله اذا خافت المار. والكتب حسنة التجليد والتذهيب ولكن بعضها لمؤلفين مشهورين بالجون. وفي الغرفة زلوية فيها مائدة وادوات كياوية كثيرة وسحوم مختلفة وهلمّ جرّاً بما يدل لاول وهلة على ان عقل ذلك الرجل كان ميالاً الى الاطلاع على كل ما في الدنيا من صالح وطالح وطيب وخبيث ولكن اذا امن النظر فيه بان منه ان الرجل يتقصد الشر تقصداً ويتوخاه حتى في الطيبات ومن كان كذلك ألف الشر اخيراً ولو تكلفه في اول الامر تكلفاً فصار دبدباً له. لم يكن الشر من طبعه لكنه طوّح نفسه فيه تطويحاً فصار عبداً له ثم صار سيدياً عليه

والرجل الزائر ربة مجدول الفضل اسود الشعر اجمده واضح تقاطيع الوجه يده صغيرتان لكنهما قويتان يحمل عصاً من الابنوس مقبضها من الذهب تنظر الى وجهه كما تنظر الى نغز لا نستطيع ان نتهم منه شيئاً كأنه ينجني اغراضه فصدّاً لا يفتح عينيه على ملئها لكنه يعي بهما كل ما يراه ولو لمحة لمحة واحدة

تفرّس فيه النهام هنيئة ثم قال له أنت المسترد كسترغون المتاز على اقراه فقال نعم
اني اسمي نفسي بهذا الاسم ولي بعض المزايبا على اقراي كما لك بعض المزايبا على اقرايك . وكان
كلامه صريحاً خالياً من كل غنة . فوقف النهام هنيئة أخرى بتفرّس في وجهه كأنه يريد ان
يطبع صورته في ذهنه ثم قال له انني اقبلت الباب فلا يسمع احد ما نقوله ففضل واجلس
واجتماعنا امرٌ محمود لا بد منه ولقد فضلت ان يكون بدعوة مني لك . ماذا تريد ان تشرب
اخيراً ام شراباً آخر

فقال لا اشرب شيئاً الا بعد ان تنتهي من شغلنا ولكنني ادخن سيكارة اذا اردت
ففتح النهام درجاً واخرج منه صندوق السيكار وفتحها امام ضيفه واخذ منه سيكارة اشعلها
ومص منه مصتين ثم وضعه في المنفضة وجلس على جانب المكتب لا على كرسي وبدت عليه
دلائل الاضطراب لان افكاراً مختلفة تنازعت في تلك الساعة وضيق انفاسه بتفق فؤاده
واضطربت رثاه وشر كان الضخط الادي زال عنه فجاشت نفسه كما يبش الماء في انازال
ضغط الهواء عنه ولو لم تكن حرارته شديدة ثم جعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو يجبر نفسه
على جعل خطواته متساوية لكي يستغل ذهنه بشيء عما كان قائماً في نفسه من الاضطراب ثم
صار يلتفت الى ما حوله في الغرفة لكي يتلوى به فرائ كأن كل ما فيها انقلب عن وضعه
وحانت منه التفاتة الى مرآة في الحائط فرأى صورته فيها واستغرب لما رأى نفسه بشياب فاخرة
ولحية منتظمة كأنه كان ينتظر ان يرى نفسه في ثياب الجناة وشكلهم الزري وحاول النطق
فعضاه لسانه وارتجفت شفثاه وشرانه سائر في سبيل كثير المزالق لا تؤمن عاقبة السير فيه
فقال لا بد من ان تبقى الدفة بيدي سواك سرت اولم اسر . ثم عاد الى نفسه فرأى انه
لا يزال واقفاً امام دكسترغون ودكستر يدخن السيكار ولا يبدى حراكاً وشر كان تلك اللحظة
سنة مرت يد جمع قواه كلها وقمع عواطف نفسه التي كادت ثورمها تغلب عليه وقال

لا بد من انك سجت وذقت الاشغال الشاقة ولقد كان ذلك شأني ولم اخرج من سجن
واذق طعم الحرية الا الآن واذا نجحت حيلتنا كانت الاخيرة من نوعها

فقال له غون اراك قلقاً دعنا نتكلم في شغلنا فيهدأ روعك
يجلس النهام في كرسي كأنه غضباً عنه وسكن جاشه وقال لقد راجعت فكري وسممت
نيبي قبلما دعوتك ولم يبق وجه للاعتذار والتأويل . اظن انك فهمت مرادي من دعوتي لك
فاشار غون بجوابيه ولكنه لم يتكلم

فقال النهام لا بأس باطلاعك على كل شيء ولا خوف من انك تكشف سرى لاحد لانه

ليس معنا ثالث واذا شكوتني وانكرت فاما من احد يصدق دكتورغون رئيس اللصوص ويكذب
جس النهام مدير بنك رويستون المعروف بالنزاهة والاستقامة في كل هذه البلاد
فقال غون افصح المقال واخبرني بمرادك

فقال النهام اريد منك ان تسرق البنك. قال ذلك وكاد صوته يبع حينئذ في هذه الكلمة
فقال غون مهلاً يا صاح ولا تتجمل في الكلام فان للصوص آداباً كما لمديري البنوك وانا
اعرف من امر البنوك كما تعرف انت ولو على اسلوب آخر ويظهر لي انك ضاربت فحسرت ورهنت
يتك وامتمك ولكن بقي البنك مديوناً باكثر مما فيه وتحتاج ان يتفصح امرك فلماذا تلبأ الي
ولا تفر وتخبو بنفسك

فقال النهام لان لي زوجة وابنة وسأصير حياً عن قريب والمهرب لا ينجيني من العار
فصمت غون حينئذ ثم قال اتعني تلك الفتاة التي رأيتها والشاب الذي كان معها
فقال النهام مالنا ولها الان

فقال غون ولكن ان كان شأن ابنتك يمك فليس الامر سهلاً كما تظن لانها اذا اوجست
شراً ونظرت اليك نظرة واحدة فقد تثنيك عن عزمك. فصمت النهام قليلاً كمن ينظر في معني
خصمه ثم لاح على وجهه امارات المرء فقال انت حر ان تفعل اولا تفعل فتنحسر رجباً طائلاً
او تظنني سهل الاتقياد الى هذا الحد

فقال كلاً ولكنني اعرف الناس الذين مثلك اذا اغرقوا مالوا كل الميل فهل هذه اول
خطوة خطوتها في هذا السبيل

فاغتاض النهام من هذا الكلام وانقبضت عضلات يديه لكنه عاد فملك طبعه وقال نعم
هذه اول خطوة

فكفرغون قليلاً ثم قال اني لا استحسن هذا العمل ولكن قل لي كم لي منه
فأفرج عن النهام وقال ان في خزنة البنك مئة وخمسة وستين الف ريال من الاوراق
المالية وهي اجرتك اذا وصلت اليها ولكن لا بد لك من كسر الخزانة وانا ادعي انك نهبت منها
ملايين ثم أستدعي مجلس المديرين ونسوي المسألة فما رأيك في ذلك
فقال هل يعلم احد بذلك غيري وغيرك — هل يعلم به صرافك ككفري

فقال النهام كلاً ولو امكنت ان اخبر احداً ما كنت دعوتك الى هنا ولم تشد الازمة
علي الا قريباً وقد بلغتني مهارتك وما فعلت بينك نيويورك منذ سنة او سنتين وما نحن
ككفري

فقال غون اني اعرف رجلاً من مديري البنوك وقع في ما وقعت فيه انت فجعل صرّاف البنك يهرب بقليل من المال وادعى عليه انه سرق اموال البنك كلها وفرّ بها ولكن ان لم يكن لكفري من هذا القيل فلا بد من طريقة اخرى

فقال النهام ولا يحل لي ان اوقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة اما انت فامرك معلوم فنظر اليه غون نظر الازدراء وقال له اعلم اننا اذا قابلتنا مديري البنوك باللصوص الذين يسرقون البنوك لم نجد المديرين افضل من اللصوص بل نجدهم ادنى منهم واجبن فانا نحن نسرق البنوك تحت انوف الحراس ونسقط او نقوم ولا نتظاهر بالخير ونحن نبتن الشر . واما انتم فتتجمعون في قصوركم وشيرون بالدنيا وتختلسون اموال الناس اغنياء وفقراء على حدسوى واذا درى بكم الحراس او القضاة تعرفون كيف ترشونهم وتنجون . وعندى شيء آخر اقوله لك فاجلس واستمع لانه قلما يتفق لي ان اكلم رجلاً مثلك . هوذا ابنتك فتاة جميلة المنظر طليقة الحياء ولا شبهة عندي في انها طاهرة السيرة والسريرة ومستقرن عما قليل بشاب مهذب وها يظنان انك عين الكمال وانا يقول الناس اني رجل شرير ولا اجالهم في ذلك واذا قبضت علي وانا متلبس بالجناية ولم اجد لي سبيلاً الى النجاة الا بقتلك قتلتك ولم ابال . وقد رأيتك منذ ساعة آتياً الي وابنتك وراءك تقبل يدها وتشير اليك بها وحينما تنتهي من شغلك معي تعود اليها وتقبل وجنتها وانت لص وتختلس مثلي ولا تستحق ان تحسن الظن بك اكثر مما تحسن الظن بي . لقد عشت عيشة الرخاء كل عمرك ودرست في احسن المدارس . تربيت على الصلاح وانا مجرم عشت مع المجرمين ولم اتعلم الا ما يسهل علي الكلام والتعبير عن افكاري ولكن اذا نظرت الي فتاة مثل ابنتك كما تنظر ابنتك اليك قلت لاني ارى من نفسي اني لا استحق ذلك ولا اجسر عليه . واني لا اخبرك بما لا تعلم وما قد لا تصدقه وهو اننا نحن معاشر اللصوص نضع لانفسنا حداً لا نتخطاه فلا نتظاهر بالفضيلة ولا نتخذ غيرنا حتى يعتقد قينا غير ما نحن . اما انتم وجهاء القوم فلا حد عندكم لشيء تتظاهرون بالصلاح والوجاهة وانتم فاسدو السيرة والسريرة وهذا الذي اعتقده فيك يا مسر النهام ولا سيما بعد ان قلت لي انه لا يحل لك ان توقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة ولكن يحل لك ان تستاجر لها لصاً مشهوراً باللصوصية مثلي . فلقد صدق ظني فيك انك تقم من نفسك الخليفة صماً تبيده ابنتك ويعبده خطيبها وتظاهر امام الذين نهيت اموالهم انك الرجل الذي نهيت امواله وهذا هو الذي يجعلني ازدرى توييخك لي وسافعل ما طلبته مني لانه قلما يقع لي مثل هذا المبلغ من المال بهذار المقدار من السهولة . ولكن اذا ساءت احوالك بعد ذلك

وانتظت في سلك اللصوص فاعلم ان اللصوص الذين مثلي يترفعون عن مشاركتك وها قد افرغت لك ما في نفسي

•••

لما كان غون يتكلم بهذا الكلام كانت القوة الغضبية في النهام تجيش وتثور وهو يحاول اخادها لانه رأى نفسه في قبضة هذا اللص وسمعته ينتقد اخلاقه انتقاداً كُشف له القناع عن حقيقة امره وحاول الضحك استهزاءً بكلام خصمه فابت نفسه عليه ذلك وحسنه على الانتقام منه ولكنه عجز عن الامرين فقد كان في كل ما مضى عليه من السنين ولياً امره وولياً امر غيره لا يتأقن ولا يعاند في شيء فلما ترك منزله التي كان فيها رأى نفسه امام هذا اللص كلرودوس امام الرئيس وزاد في خسته اهتمامه يحفظ مقامه بين الناس فاضاع منزله التي كان يحمي بها كما يترس منبع وراى سيف اخلاقه مثلماً في يده لا يقطع شيئاً فوقف امام اللص اعزل لا درع يقيه ولا سلاح يدافع به ولم يعد يحسر ان يقطع الحديث وينقلب لان زمامه صار في يد خصمه. فقال في نفسه لقد استطع ان اتقم منه في فرصة اخرى فارتاح الى هذا الغاطر وكظم غيظه وافتر بشله وقال لغون اراك قوي الحجة جداً وانا واقع في ورطة كما ترى ولا بد لي من ان اضحي كل شيء للنجاة منها الا مقامي بين الناس ولا اهتم بهذا المقام الا حباً بزوجتي وبتي ولا شبهة ان منزلتك في هذه المسألة احسن من منزلي ومهما يكن من الامر فانا لاجي اليك طالب مساعدتك ولك من الجزاء ما يرضيك

فاشار غون برأسه علامة التبول وقال له اشرح لي بعض التفاصيل

فقال اني اعطيتك مفااتيح البنك وابعده الحارس عليك ان تدبر امر الغنير وهو ارلندي من رجال البوليس ولا بد لك من كسر الخزانة. واصلح الاوقات لذلك غداً ليلاً فوقف غون وقال ان المبلغ الذي فيها مئة وخمسة وستون الف ريال الم نقل كذلك فقال النهام وقد يسحب منه شيء قليل او يضاف اليه شيء قليل غداً في بحر النهار فنظر غون نظر المستعص المتريب وادرك النهام مراده فاغناظ منه ولكنه لم يظهر النفيظ

بل اخفاه بالتيسم

فقال غون اني اعتمد على قولك ثم دار ليذهب

فقال له النهام الا تشرب الآن كاساً من الشراب ثم فتح خزانه واخرج زجاجة منها وصب كاسين فتناول كل منهما كاساً وشربها وقال غون هذا الشراب طيب واذا تم كل شيء على ما احب تركت اللصوصية لانني مللتها وذهبت الى البلدان الجنوبية واقمت فيها آمناً

ولكن لا تدع ابتك تعلم شيئاً مما جرى بيننا
فقال النهام الله يوفق . وخرج غون من الفرقة فسمع اوليا نادى ايها وثقول له قل
لضيفك ان يتفضل ويشرب فنجان شاي معنا
فالتفت الى غون وقال له ادخل اشرب فنجان شاي لماذا لا تدخل . فنظر اليه غون
شزراً وقال له اتدعي انك تهتم بامرنا ثم تركه وسار وخرج من البيت وكأنه رماه بسهم
صائب بتلك النظرة

ولما وصل الى الشارع الذي امام الباب مرّ به رجل منخفي الرأس غائر العينين وهو كافر
صراف البنك كان من عادته ان يمشي امام بيت المديز حيث تقيم الفتاة التي علق حبها قلبه .
ولم يلتفت غون الى كافر ولكن كافر رآه جيداً فرمخت صورته في ذهنه (ستأتي البقية)

بورت آرثر والحرب الحاضرة

من يرم بنظرة دقيقة واحدة على خارطة اوربا يرى ان روسيا على اتساع مساحتها لا ميناء
بحرياً لها الا على البلطيك حيث يبق الجليد نحواً من عدة اشهر يمنع من حركة البواخر والسفن
ولما كان وجود المواني البحرية في الدول من اهم عوامل تقدمها واسباب عظمتها حاولت روسيا
مراراً ان تصل الى البحر المتوسط فما افلحت ووجدت من الصعوبات والمقاومات ما اياسها وكاذ
يذهب بامانيتها . فمن تم وجبت نظرها الى الشرق الاقصى فكان احسن ميناء وجدته هناك
ميناء فلاديفوستك . الا انه في اقصى المعمور من جهة المشرق على تخييد عن طرق التجارة العامة
وفوق ذلك فان الجليد يلازمه اكثر ايام السنة . ومع ذلك رضيت به مدة وفقاً للقول المأثور
اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون وعلقت نفسها ان كوريا قريبة من هذا المرعى فلا بد من
ان يسعدها الحظ فتنتهز فرصة للداخل في امور هذه البلاد فتستولي عليها او على الاقل تكون
تحت حمايتها وتوصل من ثم الى ميناء فيها يغنيها عن فلاديفوستك ويفتح باباً لتجاريتها في
الشرق الاقصى

الا ان الدولة الروسية كانت تعلم الصعوبات التي تحول دونها ودون تمتاها هذا . واقل
هذه الصعوبات معارضة الصين وربما اليابان لانها لم تكن اذ ذاك تحب حياً لليابانيين
لحدائث عهدهم بالظهور بين الدول التي يؤيدها لها . وكان معظم خوفها من معارضة الصين راجعاً
الى ما بينها وبين كوريا من نزاي المسافات وصعوبة المسالك التي تحول دون اتصال قواتها